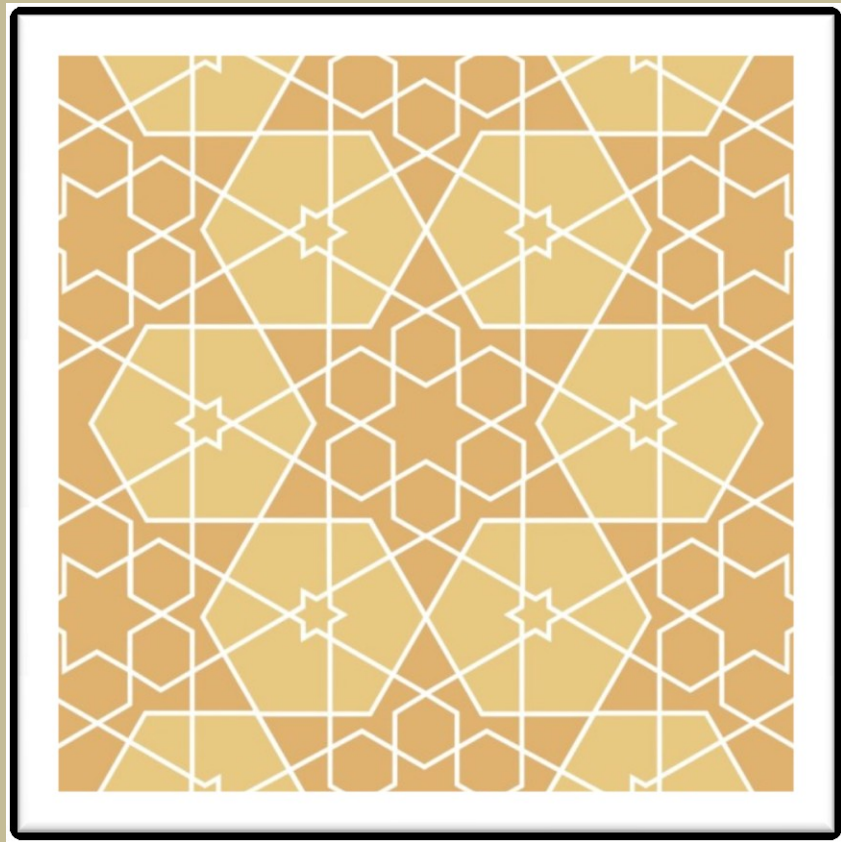


اثبات العصمة



آية الله العظمى حسيني نسب

عصمة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام

الأدلة على عصمة أئمتنا والذين هم جميعاً أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) متعدّدة ، نكتفي بذكر أحدها فقط .
 روى علماء المسلمين .سنة وشيعة. عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله في آخر أيام حياته الشريفة :

إني تارك فيكم الثقلين; كتاب الله، وأهل بيتي ، وإنهما
 لن يتفرّقا حتى يرّدا عليّ الحوض⁽¹⁾

ومما لا ريب فيه ولا شكّ يعتره أنّ القرآن الكريم مصون
 عن التحريف والخطأ ، إذ لا يمكن سريان الاشتباه والخطأ
 إلى الوحي الإلهي، مع أنّ الموحى هو الله جل وعلا ، والحامل
 للوحي هو جبرئيل (عليه السلام)، والمتلقّي له نبينا الكريم

(1) المستدرك على الصحيحين (للحاكم النيشابوري) ، ج 3 ، ص 148 ، الصواعق المحرقة ، الباب 11 ،
 الفصل الأول ، ص 149. وورد هذا المضمون في مسند احمد بن حنبل، ج 5، ص 182 و 189.
 كنز العمال، ج 1، ص 186، ح 944.

عليه وآله صلوات المصلين، فكيف يعقل وقوع الاشتباه والخطأ في مثله مع وضوح عصمة الجميع، بل عصمتهم أجلى من الشمس في رابعة النهار؟! كما أنّ عقيدة جميع المسلمين في النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنّه مصون من الاشتباه والخطأ في مقام تلقي الوحي وفي مقام تبليغه.

فلما كان للكتاب العزيز هذه الصيانة والعصمة فمن الواضح أنها ثابتة لأهل بيت النبيّ أيضاً؛ وذلك أنّ هذا الحديث الشريف جعلهم عدلاً للقرآن وقريناً مساوياً له في مقام هداية الناس وقيادتهم، ومن لوازم هذه المقارنة والتساوي هو استواؤهما من ناحية العصمة وعدم الخطأ.

وبعبارة أخرى: لا يصحّ جعل شخص أو أشخاص غير معصومين كقريناً وقريناً لما لا يعتريه الخطأ والزلل.

ومن أوضح الأدلّة على عصمتهم قوله (صلى الله عليه وآله) عليه وآله):

«وإنّهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض»

فإذا أمكن وقوع الأئمّة من أهل البيت (عليهم السلام) في الخطأ ووقعوا فيه، فإنّه يلزم افتراقهم عن الكتاب. الذي لا يعتبره الخطأ والزلل. وسيكون سبيلهم غير سبيل القرآن، مع أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) نفى ذلك بشدّة.

نعم، المراد من «أهل البيت» في الحديث الشريف ليس هو جميع من انتسب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) نسباً أو سبباً؛ لوضوح عدم كون الجميع مصوناً عن الخطأ.

وعلى هذا فالمتّصف بهذه الصفة والمتحلّي بهذا المقام إنّما هو جماعة خاصّة من عترته، وهم أئمّتنا (عليهم السلام) الذين هم مشاعل الهداية لأمة جدّهم (صلى الله عليه وآله) والحافظين لسنته، والحامين لشريعته.

و لتوضيح أكثر و الجواب عن الأسئلة المطروحة في مجال

"حديث الثقلين" ، نذكر هنا بحثا تفصيليا عن هذا

الحديث الشريف.

شرح "حديث الثقلين"

حديث الثقلين هو من الأحاديث المتواترة بين المسلمين ، و رواه علماء الإسلام من السنّة و الشيعة بعبارات متضاهية و اتفقوا على أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال :

«إني تاركٌ فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا ; كتاب الله وعترتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»⁽²⁾ .

و على هذا الأساس، صرّح كبار علماء الحديث من كلا الفريقين على أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) خلف بعده ثقلين عظيمين ، ودعا المسلمين إلى اتّباعهما ، وقال إنّ الهداية مقرونة بالتمسك بهما ، وهذان الثقلان هما :

كتاب الله وعترته أهل بيته .

ونذكر فيما يلي بعض هذه الروايات من باب المثال :

(2) المعجم الصغير للطبراني ، ج 1 ، ص 135 .

1. روى الترمذي في صحيحه عن جابر بن عبد الله :

«رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حجته يوم
عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعتة يقول :
يا أيها الناس إني تركت فيكم من [ما] إن أخذتم به لن
تضلّوا ; كتاب الله وعترتي أهل بيتي»⁽³⁾ .

2. وروى الترمذي في صحيحه أيضاً عن زيد بن أرقم قال :

«قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إني تارك فيكم ما
إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي ، أحدهما أعظم من
الأخر ; كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ،
وعترتي أهل بيتي ، ولن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض ،
فانظروا كيف تخلفوني فيهما»⁽⁴⁾ .

3. وروى مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم :

(3) سنن الترمذي ، ج 5 ، ص 328 ، ح 3874 .

(4) سنن الترمذي ، ج 5 ، ص 329 ، ح 3876 .

«قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً فينا خطيباً
بماء يدعى خمأً بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى
عليه ، ووعظ وذكر ، ثم قال : أما بعد ، ألا أيها الناس
فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا
تارك فيكم ثقلين ، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ،
فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به . فحث على كتاب الله
ورغب فيه ، ثم قال : وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل
بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل
بيتي»⁽⁵⁾ .

4. روى جملة من المحدثين عن رسول الله (صلى الله عليه

وآله) أنه قال :

(5) صحيح مسلم ، ج 7 ، ص 122 .

«إني تارك فيكم الثقلين ; كتاب الله وأهل بيتي ، وإنيهما

لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»⁽⁶⁾ .

وينبغي الإشارة إلى أنّ الأحاديث الواردة بهذا المضمون أكثر

من أن تسعها هذه الرسالة الوجيزة، وقد ذكر المحقق

الجليل السيد مير حامد حسين في كتابه «عبارات الأنوار»

أسانيد هذا الحديث بالتفصيل.

(6) المستدرک علی الصحیحین ، ج 3 ، ص 148 . الصواعق المحرقة ، ص 149 ، الباب 11 ، الفصل الأول .

وروي هذا المضمون في كتب أخرى منها : مسند ابن حنبل ، ج 5 ، ص 182 و 189 . كنز العمال ، ج 1 ، ص 44 ، باب الاعتصام بالكتاب والسنة .

«وعترتي» صحيح أم «وسنتي» ؟

نقل المحدثون حديثَ الثقلين .والذي يحظى بشهرة واسعة . باختلاف في فقرة منه على نحوين ، و أوردوه في كتبهم الحديثية ; هما :

أ . «كتاب الله وعترتي أهل بيتي»

ب . «كتاب الله وسنتي»

فأيّ هذين النقلين هو الصحيح ؟

الجواب :

الحديث الصحيح والثابت عن النبي (صلى الله عليه وآله) هو «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» ، و أمّا النسخة التي ورد فيها : «كتاب الله وسنتي» بدلاً من «كتاب الله وعترتي أهل

بيتي»، فهي ضعيفة سنداً ومردودة، بخلاف نسخة «كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، فإنها تتمتع بسند صحيح.

سند نسخة «كتاب الله وعترتي أهل بيتي»

روى هذا النصّ محدّثان كبيران هما: مسلم و الترمذي .

1. فروى مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم :

قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً فينا خطيباً
بماء يدعى خُمّاً بين مكّة والمدينة فحمد الله و أثنى عليه
ووعظ وذكر ، ثمّ قال : ألا أيّها الناس فإنّما أنا بشرٌ
يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين
أولهما كتاب الله ، فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله
واستمسكوا به ، فحث على كتاب الله ، ورغّب فيه ، ثمّ
قال : وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في
أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي⁽⁷⁾

(7) صحيح مسلم ، ج 4 ، ص 1803 الرقم 2408 (طبعة عبد الباقي) .

ورواه أيضاً الدارمي في سننه⁽⁸⁾ . وينبغي أن يقال : إنّ سندهما واضح لا غبار عليه ولا خدشة فيه .

2. وروى الترمذي هذا الخبر بهذا الشكل :

إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي ،
أحدهما أعظم من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من
السماء إلى الارض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يتفرّقا حتى
يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما⁽⁹⁾

فأكّد مسلم والترمذي . وهما من أصحاب الصحاح . على
النص المتضمّن عبارة «أهل بيتي» ، وهذا كاف لإثبات
رأينا ، مع أنّ سندهما . كما تقدّم . في غاية الاعتبار
والصحّة ، فلا حاجة للبحث فيه .

(8) سنن الدارمي ، ج 2 ، ص 431 . 432 .

(9) سنن الترمذي ، ج 5 ، ص 663 ، الرقم 37788 .

السند الأول لنسخة «وسنتي»

النسخة التي ورد فيها «وسنتي» بدل «و أهل بيتي» مختلقة وموضوعة ، وضعتها أيدي مرتبطة بالأمويين ، مضافاً إلى ضعف سندها ، وإليك متن الرواية بأسانيدها :

1. روى الحاكم في مستدركه هذا المتن بالسند التالي :

عباس بن أويس عن أبي أويس عن ثور بن زيد الديلمي عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله :

يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلّوا أبداً ; كتاب الله وسنة نبيّه⁽¹⁰⁾

وفي سند هذه الرواية أبّ وابن هما سبب ضعف الرواية وهما : «أبو أويس» و «اسماعيل بن أبي أويس» ، فإنهما مضافاً إلى عدم توثيقهما متهمان بالكذب واختلاق الأحاديث .

(10) المستدرک علی الصحیحین ج 1 ، ص 93 .

أقوال العلماء فيهما

نقل الحافظ المزني في كتاب تهذيب الكمال عن علماء الفنّ

في شأن الرجلين ما يلي :

قال يحيى بن معين . من كبار علماء الرجال .: «أبو أويس

وولده ضعيفان» . كما نقل عن يحيى بن معين أيضاً قوله :

«ابن أبي أويس وأبوه يسرقان الحديث» . كما قال في حقّ

الولد «لا يمكن الاعتماد عليه» .

وقال النسائي : «ضعيف» .

وقال أبو القاسم اللالكائي : «بالغ النسائي في الكلام عليه ،

إلى أن يؤدي إلى تركه» .

وقال أبو أحمد بن عدي : «ابن أبي أويس هذا روى عن

خاله مالك أحاديث غرائب ، لا يتابعه أحد عليه»⁽¹¹⁾ .

(11) تهذيب الكمال للحافظ المزني ، ج 3 ، ص 127 .

وقال ابن حجر في كتاب مقدمة فتح الباري : « لا يحتج بشيء من حديثه من أجل ما قدح فيه النسائي»⁽¹²⁾ .

وقال الحافظ أحمد بن الصديق المغربي في كتابه فتح الملك العلي : «وقال سلمة بن شبيب : سمعت اسماعيل بن أبي اويس يقول : ربما كنت أضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء فيما بينهم»⁽¹³⁾ .

وعليه فاسماعيل بن أبي أويس متهم بوضع الحديث ، ومن الكذابين كما قال يحيى بن معين . كل ذلك مضافاً الى أنّ حديثه لم يرو في صحيح مسلم وسنن الترمذي وغيرهما من كتب الصحاح .

ويكفينا في شأن أبي أويس قول أبي حاتم الرازي في كتاب الجرح والتعديل حيث قال : «أبو اويس يكتب حديثه ، ولا يحتجّ به ، وليس بالقوي»⁽¹⁴⁾ .

(12) مقدمة فتح الباري ، ص 388 (طبعة دار المعرفة) .

(13) فتح الملك العلي ، ص 15 .

(14) الجرح والتعديل للرازي ج 5 ، ص 92 .

كما نقل أبو حاتم عن يحيى بن معين: «أبو أويس ليس بحجة».

فالرواية التي في سندها هؤلاء الرجلين ليست بصحيحة، هذا إذا غضضنا الطرف عن مخالفتها للرواية الصحيحة الثابتة.

الأمر الجالب للانتباه هو أن الحاكم الراوي للحديث. اعترف بضعف الرواية، ولذا لم يتعرض لتصحيح سندها، بل حاول تصحيح مضمونها بإيراد شاهد يؤيده. لكن الشاهد الذي أورده ضعيف السند أيضاً، فلا يزيد هذه الرواية إلا ضعفاً وسقماً، وإليك هذا الشاهد:

السند الثاني لنسخة «وسنتي»

روى الحاكم النيشابوري بسند سيأتي ذكره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) إني قد تركت

فيكم شيئين لن تضلّوا بعدهما ; كتاب الله وسنتي ، ولن

يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض⁽¹⁵⁾

وقد رواه الحاكم بالسند التالي :

«اخبرنا أبو بكر بن اسحاق الفقيه ، أنبأنا محمد بن عيسى

بن السكن الواسطي ، حدثنا داود بن عمرو الضبيّ ، حدثنا

صالح بن موسى الطلحي ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن

أبي صالح ، عن أبي هريرة» .

وهذا النص مختلف كسابقه ، وفي سنده «صالح بن موسى

الطلحي» ، الذي قال في حقّه كبار علماء الرجال ما يلي :

قال يحيى بن معين : «ليس بثقة» .

وقال أبو حاتم الرازي : «ضعيف الحديث ، منكر الحديث

جداً ، كثير المناكير عن الثقات» .

وقال النسائي : «لا يكتب حديثه ، ضعيف» . وقال في

موضع آخر : «متروك الحديث»⁽¹⁶⁾ .

(15) المستدرک علی الصحیحین ، ج 1 ، ص 93 .

وقال ابن حجر في تهذيب الكمال : «قال ابن حبان : كان يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات ، حتى يشهد المستمع لها أنّها معمولة أو مقلوبة ، لا يجوز الاحتجاج به .
وقال أبو نعيم : متروك ، يروي المناكير»⁽¹⁷⁾ .

وقال أيضاً في تقريب التهذيب : «صالح بن موسى بن إسحاق بن طلحة التيمي الكوفي متروك»⁽¹⁸⁾ .
وقال الذهبي في الكاشف : «حديثه ضعيف»⁽¹⁹⁾ .

بل إنّ الذهبي في ميزان الاعتدال روى عنه النصّ المذكور وقال : من أحاديثه المنكرة⁽²⁰⁾ .

(16) تهذيب الكمال ، ج 13 ، ص 96 .

(17) تهذيب التهذيب لابن حجر ، ج 4 ، ص 355 .

(18) تقريب التهذيب لابن حجر ، ج 1 ، ص 433 ، الترجمة رقم 2891 .

(19) الكاشف للذهبي ، الترجمة رقم 2421 .

(20) انظر : ميزان الاعتدال للذهبي ج 2 ، ص 302 .

السند الثالث لنسخة «وسنتي»

روى ابن عبد البر في كتاب التمهيد⁽²¹⁾ هذا النص بالسند التالي :

عبد الرحمن بن يحيى عن أحمد بن سعيد عن محمد بن ابراهيم الدبيلي عن علي بن زيد الفرائضي عن الحنيني عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جدّه .

يقول الإمام الشافعي في حق كثير بن عبد الله : «ذاك أحد الكذابين أو أحد أركان الكذب»⁽²²⁾ . وسئل أبو داود عنه فقال : «كان أحد الكذابين»⁽²³⁾ . وقال ابن حبان : «روى عن أبيه عن جدّه نسخة موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب ولا الرواية إلا على جهة التعجب»⁽²⁴⁾ .

(21) التمهيد ، ج 24 ، ص 331 .

(22) تهذيب التهذيب لابن حجر ، ج 8 ، ص 377 . تهذيب الكمال ، ج 24 ، ص 138 .

(23) المصدر السابق .

(24) المجروحين لابن حبان ، ج 2 ، ص 221 .

وقال النسائي والدارقطني: «متروك الحديث»⁽²⁵⁾. وقال أحمد: «منكر الحديث ليس بشيء»⁽²⁶⁾. وهو رأي ابن معين أيضاً.

والعجب كلّ العجب من ابن حجر في كتاب تقريب التهذيب في ترجمة كثير بن عبد الله، حيث وصفه بالضعف فقط، وقال: «أفرط من نسبه إلى الكذب»⁽²⁷⁾، مع أنّ مقدّم علم الرجال وصفوه بالكذب والوضع، بل إنّ الذهبي وصف حديثه بأنه ضعيف وواهي.

النقل الفاقد للسند لنسخة «وسنتي»

روى مالك في الموطأ هذا النص بشكل مرسل ومن دون إسناد، والكلّ يعلم أنّ الحديث الفاقد للسند فاقد للاعتبار.

(25) تهذيب التهذيب لابن حجر، ج 8، ص 377.

(26) المصدر السابق.

(27) تقريب التهذيب لابن حجر، ج 2، ص 39.

وبهذا التحقيق تبين أنّ النصّ الذي ورد فيه «وسنّي» بدل «وَأهل بيتي»، من أكاذيب الوضّاع والمرتبطين بالبلاط الأموي، وأتّهم وضعوه في قبال الحديث الثابت عن النبي الكريم (صلى الله عليه وآله). وعليه فيجب على الخطباء وأصحاب المنابر أن يتركوا النصّ الذي لم يثبت عن النبي (صلى الله عليه وآله)، ويذكروا ويبينوا للناس النصّ الثابت عنه (صلى الله عليه وآله)، الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه بلفظ: «أهل بيتي»، والترمذي بلفظ: «عترتي أهل بيتي»، فعلى طالبي العلم والمهتمّين بتعلّم الحديث أن يميّزوا بين الحديث الصحيح والسقيم.

مداليل حديث الثقلين

بعد بيان السند لحديث الثقلين، يجدر بنا أن نلقي الضوء على المعنى و المفاد لهذا الحديث الشريف، لنعرف مداليله و معالمه.

المدلول الأول

وجوب اتباع أهل البيت على المسلمين

جعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) العترة الطاهرة قريناً للقرآن ، ووصفهما معاً بالحجة الالهية على الأمة ، و من هنا يمكن أن نستنتج انّ أقوال العترة النبوية حجة كالقرآن ، فلا بد من التمسك بأقوالهم فيما يرجع الى الجهة الدينية من الحياة ; سواء في الجانب العقائدي أو الفقهي أو غيرهما ، ومع وجود دليل من العترة لا يرجع الى غيرهم .

فالمسلمون وإن اختلفوا بعد رحيل النبي (صلى الله عليه وآله) في أمر الخلافة واعتمد كل فريق منهم دليلاً ومنطقاً خاصاً ، إلا أنه لا ينبغي الاختلاف في لزوم الرجوع الى أهل البيت بعد اتفاق الجميع على صحة حديث الثقلين واعتبار القرآن والعترة المرجعان في الأحكام والعقائد . ومن هنا فإن الأمة الإسلامية لو عملت بهذا الحديث الشريف فإن دائرة الخلاف بين المسلمين ستضيق وتحدّد ، ويسود الاتفاق هذه الأمة المرحومة .

فيعلم من خلال هذا الحديث الشريف أنّ التمسك بأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) واتباعهم إلى جانب كتاب الله وسنة نبيه هو من ضروريات الإسلام ، وأنّ ترك كلام أهل البيت يوجب الضلال والغواية .

وهنا يطرح السؤال التالي نفسه: من هم العترة التي أمر النبي (صلى الله عليه وآله) الأمة باتباعهم ؟

لأجل الجواب على هذا السؤال نذكر الروايات التي بيّنت
معنى عترة النبيّ (صلى الله عليه وآله) .

من هم أهل بيت النبيّ (ص) ؟

اتّضح من الروايات المذكورة أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله)
حثّ المسلمين ودعاهم لاتباع عترته ، وجعل الهداية رهينة
بالتمسك بها وبالقرآن معاً ، وجعلهما المرجع للأمة بعده ،
وصرّح بعدم انفصال أحدهما عن الآخر بقوله :

«وإنّهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض»

فبما أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) جعل العترة قرينة
للقرآن أبداً ونفى انفصالهما للأبد بقوله : «و إنّهما لن
يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض» ، فلا بدّ أن يكونوا
معصومين من الخطأ ومنزهين عن الزلل ، وأن يكونوا ممن
تغذّى من زلال عين المعارف الإلهيّة الحقّة . ولولا ذلك كله

فانهم سينفصلون عن القرآن الكريم ، والحال أنّ النبيّ
(صلى الله عليه وآله) صرّح بعدم انفصالهما أبداً .

وبهذا يعرف المقصود من العترة وأهل البيت في الحديث
الشريف ; فإن هذه الصفات لا تنطبق على أحد سوى
ذرّيته الذين هم عترته وأهل بيته ، وهم أئمة الشيعة عليهم
وعلى جدهم آلاف التحيّة والسلام .

فعلى ضوء الأحاديث المروية من الفريقين - السنّة و
الشيعة - ، نعرف أنّ المقصود من قوله (صلى الله عليه
وآله) : «أهل بيتي» هو ذرّيته الطاهرة; كفاطمة الزهراء
والحسن والحسين سلام الله عليهم أجمعين .

وإليك فيما يلي أدلّة ما ذكرناه :

أوّلاً: روى مسلم في صحيحه والترمذي في سننه عن عمر
بن أبي سلمة ربيب النبي (صلى الله عليه وآله) قال :

نزلت هذه الآية على النبي (صلى الله عليه وآله): (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)⁽²⁸⁾ في بيت أم سلمة ، فدعا النبي (صلى الله عليه وآله) فاطمة وحسناً وحسيناً فجلبهم بكساء ، وعليّ خلف ظهره فجلبه بكساء ، ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . قالت أم سلمة : وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال أنتِ على مكانك ، وأنتِ إلى خير⁽²⁹⁾ .

ثانياً . روى مسلم في صحيحه حديث الثقلين عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم ، وذكر فيه أن يزيد بن حيان سأل زيد بن أرقم فقال :

«من أهل بيته؟ نساؤه؟! قال : لا وأيم الله ، إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثمّ يطلّقها ، فترجع إلى

(28) الأحزاب : 33 .

(29) سنن الترمذي ، ج 5 ، ص 328 ، ح 3875 .

أبيها وقومها . أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا
الصدقة بعده»⁽³⁰⁾ .

فصريح هذه الرواية أنّ عترة النبيّ (صلى الله عليه وآله)
الذين يجب التمسك بهم ليسوا نساءه ، وإنّما هم
منتسبون إليه مادياً ومعنوياً ، ولهم خصوصيات تميّزهم
عن غيرهم بحيث تجعلهم . إلى جانب القرآن . مؤهلين
لهداية وقيادة الأمة الإسلاميّة بعد النبيّ (صلى الله عليه
وآله) .

ثالثاً . لم يكتفِ النبيّ (صلى الله عليه وآله) ببيان أوصاف
أهل بيته ، وإنّما ذكر عددهم وهو «إثنا عشر» ، فروى
مسلم في صحيحه عن سماك بن حرب قال : سمعت جابر
بن سمرة يقول :

«سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : لا يزال
الإسلام عزيزاً إلى إثني عشر خليفة . ثمّ قال كلمة لم

(30) صحيح مسلم ، ج 7 ، ص 123 .

أفهمها ، فقلت: لأبي ما قال؟ فقال: كلهم من قريش»⁽³¹⁾.

كما روى مسلم في صحيحه أيضاً ما يلي:

«لا يزال أمر الناس ماضياً ما ولهم إثنا عشر رجلاً»⁽³²⁾.

فهاتان الروايتان دليل واضح على ما يقول به ويعتقده الشيعة من أنّ الأئمة الإثنا عشر من ذرية النبي (صلى الله عليه وآله) هم الخلفاء وقادة الأمة بعده (صلى الله عليه وآله)؛ فإنّه لا يوجد مصداق للخلفاء الإثني عشر. الذين هم سبب لعزّة المسلمين من جانب ، ولهم أهليّة قيادة الأمة من الناحية العلميّة من جانب آخر ، وأن يكونوا بعد رحلة النبي (صلى الله عليه وآله) مباشرة من جانب ثالث. سوى الأئمة الإثنا عشر من أهل البيت.

(31) صحيح مسلم ، ج 6 ، ص 3 .

(32) صحيح مسلم ، ج 6 ، ص 3 .

فإننا إذا غضضنا الطرف عن الخلفاء الراشدين ولاحظنا الخلفاء الذين تولّوا أمور المسلمين من بعدهم .سواء من بني أمية أو من بني العباس . فإننا نجدهم ارتكبوا قبيح الأفعال ، فصاروا عاراً على الإسلام والمسلمين ، ولم يكونوا سبباً لعزّتهما .

وبهذا يتّضح أنّ المقصود من «أهل البيت» و «العترة» في الحديث المذكور .والذين هم قرين القرآن والذين هم خلفاء النبي (صلى الله عليه وآله) على أمّته .هو الأئمة الإثنا عشر من أهل البيت (عليهم السلام) الحافظين لسنة الرسول والحاملين لعلمه (صلى الله عليه وآله) .

رابعا . ذكر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) أيضاً أنّ الأئمة وخلفاء المسلمين هم من بني هاشم ، وهذا دليل آخر على صحة ما يقول به الشيعة ، وذلك قوله :

«إن الأئمة من قريش ، غرسوا في هذا البطن من
 هاشم ، لا تصلح على سواهم ، ولا تصلح الولاية من
 غيرهم»⁽³³⁾ .

النتيجة

الروايات المذكورة تسفر عن أنّ أهل بيت الرسول (صلى
 الله عليه وآله) باعتبارهم قرين القرآن ومرجع الأمة
 الإسلاميّة بعد النبي كما قال هو (صلى الله عليه وآله) ،
 يتمتعون بصفات وخصائص معيّنة و هي كما يلي :

أ. هم جميعاً من قريش ومن بني هاشم .

ب . تربطهم جميعاً قرابة برسول الله (صلى الله عليه وآله)
 تجعل الصدقة عليهم حراماً .

ج . يتمتعون جميعاً بالعصمة ، وإلاّ فإنّهم سينفصلون ويفترقون عن القرآن عملاً ، مع أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال : «إنّهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض» .

د . عددهم إثنا عشر ، يأتون بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، ويلون أمر المسلمين واحداً بعد واحد .

هـ . إنّهم سبب لعزّة الإسلام والمسلمين ولقوّة شوكتهم .

فمع أخذ هذه الأوصاف بنظر الاعتبار يتّضح أنّ المراد من قوله (صلى الله عليه وآله) : «عترتي أهل بيتي» في الحديث المذكور . والذي أوصى المسلمين فيه باتّباعهم . هو الأئمة الإثنا عشر المعصومون ، الذين يفتخر الشيعة باتّباعهم ، وأخذ الأحكام الفقهيّة عنهم .

المدلول الثاني

عصمة أئمة أهل البيت عليهم السلام

لَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَصُونًا عَنِ الْخَطَا وَالِاشْتِبَاهِ
بِمَقْتَضَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا
مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)⁽³⁴⁾ ، فَعَدِيلُ الْقُرْآنِ
. وَهُوَ الْعِتْرَةُ . مَصُونٌ مِنَ الْخَطَا أَيْضًا ؛ لِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ جَعْلُ
الْمَخْطِئِ عَدِيلَ الْمَصُونِ عَنِ الْخَطَا وَهُوَ الْقُرْآنُ ، بَلَا رَيْبٍ .
وَعَلَيْهِ فَهَذَا الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى عَصْمَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ
جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْخَطَا وَالْإِنْحِرَافِ . لَكِنْ يَنْبَغِي الْإِلْتِفَاتُ إِلَى أَنَّ
الْعَصْمَةَ تَخْتَلِفُ عَنِ النُّبُوَّةِ وَلَا تَلَازِمُ بَيْنَهُمَا ، فَيُمْكِنُ أَنْ
يَكُونَ الشَّخْصُ مَعْصُومًا وَلَيْسَ نَبِيًّا ، كَمَرْيَمَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ)
فَإِنَّهَا مَعْصُومَةٌ مِنَ الذَّنُوبِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (يَا مَرْيَمُ إِنَّ

اللَّهِ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ⁽³⁵⁾

ومع ذلك هي ليست نبيّة .

فيعلم من خلال هذا الحديث الشريف أنّ التمسك بأهل بيت النبيّ (صلى الله عليه وآله) واتّباعهم إلى جانب كتاب الله وسنة نبيّه هو من ضروريّات الإسلام ، وأنّ ترك كلام أهل البيت يوجب الضلال والغواية .

المدلول الثالث

صيانة القرآن من التحريف

و يعلم من هذا الحديث الشريف بوضوح أنّ القرآن الكريم لا يتسرّب إليه التحريف والتغيير ، لأنّه إذا نفذ التحريف إلى الكتاب العزيز فلا يكون التمسك به موجباً للهداية ، وهذه النتيجة تخالف النص المتواتر .

و أمّا ما قيل في مقام الاعتراض على هذا الاستدلال، من أنّ المراد هو صيانة آيات الأحكام فقط عن التحريف، دون كلّ الآيات، فهو مردود بأنّ القرآن كلّّه و بجميع آياته أنزل لهداية الناس و نجاتهم من الضلال، لا خصوص آيات الأحكام و التي تتعلّق بالمسائل الفقهية فقط.
